# الرؤية الحضارية والعلمية في دراسة تاريخ الفرق المذهبية

**د/ مصطفى مغزاوي**

**جامعة الشلف / الجزائر**

**الملخص:**

الاختلاف المذهبي طبيعة بشرية وحقيقة كونية لا يُـمكن إنكارها أو تجاهلها أو حتى القضاء عليها، قال الله تعالى: " ولو شـــاء الله لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك " ( ســـورة هود، 118 )، وإذا أدركنا ذلك وجبَ علينا العمل من أجل تهيئة مجتمع إســـلامي يعترف بهذا الاختلافِ المذهبي بشكل صريح وصحيح، ولا يُـمكن أن يتأتَّـــى ذلك إذا قابلناه بالتجاهل وأدرنا له الظهر وتركناه ينفلت من توجيه الباحثين والأكاديميين إلى عبث الجاهلين والانتهازيين، لذا ســـنحاول تقديم الإجابات الشافية والوافية لمن يتساءلُ عن جدوى الاهتمام بالتاريخ المذهبي وإنفاق الجهد والوقت في مباحثه، فدراســـة التاريخ المذهبي ليس إثارة للمذهبية وإحياءً لنعراتها كما يتوهمه البعض، وإنما البحث في هذا الموضوع هو نوع من الوقاية والعلاج، وإسهامٌ في تكوين مجتمع فاضل خالٍ من الغل والضغينة.

**الكلمات المفتاحية:** الاختلاف، التاريخ، الحضارة، المذاهب، الفرق.

**Résumé:**

**Les différences et les différences entre les êtres humains sont universelles et sociales. Les musulmans ont aussi longtemps divergé dans la compréhension et l'interprétation des textes de l'Islam, et ils sont encore différents à ce jour. Si nous réalisons cela, nous devons travailler pour former une société qui coexiste. Le sectarisme, nous essaierons de fournir des réponses complètes à ceux qui s'interrogent sur l'importance de l'intérêt pour l'histoire en examinant les valeurs scientifiques et les dimensions de la civilisation qui peuvent en bénéficier à travers l'étude de l'histoire des écoles et des sectes.**

**mots clés: Différence, histoire, civilisation, sectes, groupes religieux.**

**المقدمة:**

الاختلاف والتباين بين البشر سنة إلاهية وطبيعة اجتماعية لتفاوت النـاس في مداركهم وأذواقهم، فتتفاوتُ تبعاً لذلك أفهامهم وآراؤهم وانطباعاتهم، فكل طرف يرى أن الحق بجانبه، ولا يشذُّ المسلمون عن هذه القاعدة البشرية، فاختلف المسلمون في فهم وتفسير النصوص الشرعية منذ زمن الخلافة الراشدة، ولا يزالون مختلفين إلى يومنا هذا، قال الله تعالى: " ولو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك " ( سورة هود، 118 )، فالاختلاف المذهبي طبيعة بشرية وحقيقة كونية لا يمكن إنكارها أو تجاهلها أو حتى القضـــاء عليها، وإذا أدركنا ذلك وجبَ علينا العمل من أجل تهيئة بيئة اجتماعية إسلامية نعترف من خلالها بهذا الاختلافِ المذهبي بشكل صريح، ونـتـقبَّـلهُ برحابة صدر، نـُعايشه ونتأقلم معه، ولا يُمكن أن نتأقلم معه حقاً إذا قابلناه بالتجاهل وأدرنا له الظهر وتركناه ينفلت من توجيه الباحثين والأكاديميين إلى عبث الجاهلين والانتهازيين، لذا سـنحاول تقديم الإجابات الشـافية والوافية لمن يتسـاءلُ عن جدوى الاهتمام بالتاريخ المذهبي وإنفاق الجهد والوقت في مباحثه، ويدعوا إلى تجاهله والانشغال عنه بغيره لأنَّه يُحيي الخلافات ويجدد النزاعات، ويبحث في فرق بعضها انتهى وانقضى ولم يعد لها ذكر أو وجود، فما هي إذاً القيم العلمية والأبعاد الحضارية التي يمكن أن نجـنيها من الدراسات التاريخية المتعلقة بالحركات المذهبية؟ .

**علم مقالات الفرق: المفهوم والدلالة.**

علم مقالات الفرق هو التسـمية التراثية لعلم الفرق والمذاهب، وهو من فروع التاريخ الإسـلامي باعتباره يدرس الفرق المذهبية من حيث تاريخ نشـأتها وأبرز أعلامها وعوامل انتشـارها أو تراجعها، وهذا العلم أيضـا من فروع علم العقائد والأديان باعتباره يدرس عقائد الفرق والمذاهب من حيث أصولها وأدلتها وحججها.

وتتعدَّد مجالات التقاطع والتماس بين العلوم الإسلامية والتاريخ الإسلامي، ومن ذلك السـيرة النبوية والمغازي ودراسـة الفرق والمذاهب، لذا يجدُ الباحث في تاريخ الفرق والمذاهب مضطراً للتفقه في الأصول العامة للفرق والمذاهب بالقدر الذي يخدم مجال بحثه إلى جانب تخصّـصـه في مجال البحث في التطور التاريخي لهذه الفرق من حيث النشـأة والتطور والانتشار، والحال نفسه لدى الباحث في أصول الفرق وحججها وأفكارها يضطر للتزود من المعرفة التاريخية لهذه الفرق بالقدر الذي يخدم مجال بحثه أيضاً.

وعموماً لو حاولنا صـياغة مفهوم لتخصّـص تاريخ الفرق والمذاهب فيُمكن اعتباره من روافد التاريخ الإسلامي، يُعنَى بدراسة الفرق المذهبية البائدة والباقية من حيث النشأة والتطور والانتشار والأعلام والمصنفات وعلاقتها بالسلطة والفقهاء والعامة.

وينطوي هذا العلم على حقول أيضـاً فيشـمل دراسـة الفرق والمذاهب غير الإسـلامية، ولذلك لما ألف أبو الحسـن الأشـعري في علم المقالات، ألف كتاباً سماه "مقالات الإسـلاميين" وكتاباً آخر سماه "مقالات غير الإسـلاميين"، ولكن الذي اسـتقر عليه الحال في الوقت الحاضر هو الفصل بين هذين النوعين من المقالات، بتسمية مقالات غير الإسلاميين بـ "علم الأديان "، وتسمية مقالات الإسلاميين بـ " علم الفرق" [1].

وحظي هذا العلم بالعناية والاهتمام والتصنيف قديما وحديثاً، حيث بدأ التدوين في هذا العلم مبكراً منذ منصـف القرن الثاني هجري، حيث ذكرت كتب الفهارس كتاباً بعنوان: "المقالات" لزفر بن الهذيل الحنفي ( تـ 158هـ ) [2]، واستمرّ التصنيف إلى مطلع القرن الرابع الهجري حيث صنَّف الإمام أبو الحسن الأشعري(324هـ) ثلاث مصنفات في هذا المجال هي: كتاب: جمل المقالات[3]، وكتاب: مقالات الإسـلاميين، وكتاب:

---

1 – محمد خليفة التميمي، **مقدمات في علم مقالات الفرق**، الكويت، الطبعة الأولى، غراس للنشـر والتوزيع ، 1423 هـ- 2002م، ص: 8.

2 – أُنظر: حاجي خليفة، **كشـف الظنون عن أسـامي الكتب والفنون**، - بغداد ، مكتبة المثنى ، 1941م، ج: 02، ص: 1782.

3 – ابن عسـاكر، **تبيين كذب المفتري فيما نسـب إلى الإمام أبي الحسـن الأشـعري**، الطبعة 03،

مقالات غير الإسـلاميين[4] ، لكن أشـهر المصـنفات في هذا المجال شـهدها مطلع القرن الموالي – القرن الخامس الهجري – حيث ظهرت أكبر الموســوعات في هذا العلم، وهي موسوعة: الملل والنحل[5] لأبي بكر الباقلاني (تـ 403هـ)[6]، وموسوعة أخرى بنفس الإسم هي: الملل والنحل[7] لأبي منصور عبد القاهر البغدادي (429هـــ)[8]، وكتاب: الفرق بين الفرق: له أيضـاً، وفي منتصـف القرن السـادس الهجري تجدّد التصـنيف في هذا الفن بموسوعتين أخريين، إحداهما بالمغرب الإسلامي والأخرى بالمشرق الإسلامي، هما موسوعة: الفصـل في الملل والأهواء والنحل: لابن حزم الأندلسـي (456هـــ)[9]، وموسـوعة: الملل والنحل لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني (548هـ)[10].

واسـتمرّ التصـنيف والاهتمام بهذا الفن خلال الفترة الحديثة والمعاصـرة حيث تخصّصت مخابر ومراكز بحث وأقسام ودراسات في تتبُّـع الفرق المذهبية المعاصرة والقديمة، وانبرى عدد من الباحثين الكبار أفردوا البحوث والمصـنفات في هذا المجال نذكر منهم في الجزائر الأستاذ خالد كبير علال الذي أصدر العديد من البحوث منها مُـصنَّـف حول ظاهرة التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي، و مُـصنَّـف آخر حول الأزمة العقيدية بين الأشاعرة وأهل الحديث، مُستعرضاً المظاهر والأسباب والنتائج ومُقترحاً للحلول.

---

بيروت، دار الكتاب العربي، 1404 هـ / 1984 م، ص : 129.

4 – نفسه.

5 – حاجي خليفة، المصدر السابق، ج: 02، ص: 1820.

6 – أُنظر: الذهبي شمس الدين، **سـير أعلام النبلاء**، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشـراف الشـيخ شعيب الأرناؤوط، الطبعة 03، الرسالة، 1405 هـ / 1985 م، ج: 17، ص:190.

7 مخطوط ذكره البغدادي محمد بن إسماعيل، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصـنفين، بيروت – لبنان، دار إحياء التراث العربي ، ج: 05، ص: 606.

8 – الذهبي، ج: 17، ص: 572.

9 – نفسه، ج: 18، ص: 184.

10 – أُنظر: الزركلي خير الـدين،**الأعلام**، الطبعـة 15، دارالعلم للملايين، بيروت، لبنـان، 2002م، ج: 06، ص: 215.

وتأسيساً على ما سبق يمكن القول أنَّ هذا العلم فرض نفسه – ولا يزال – كعلم ينفرد بإشكالياته وموضوعاته ومباحثه ومناهجه وأهدافه، ولكن تعالت في الآونة الأخيرة أصوات تتساءل في حيرة عن جدوى هذا العلم في الزمن الراهن؟ وأصوات أخرى تدعوا إلى تجاهله بدعوى أنه يثير النزاعات؟ فما هي التجليات الحضارية والأبعاد الإنسانية والقيم العلمية التي يُمكن أن تمنحها البحوث التاريخية المتعلقة بهذا العلم؟.

**الدراسة التاريخية للفرق المذهبية: تجليات حضارية وقيم علمية وأبعاد إنسانية.**

إنَّ الرؤية الحضارية والعلمية لدراسة التاريخ المذهبي التي نسعى إلى تجليتها قد تجلت في صفحات القرآن الكريم الذي أورد في طيَّاته مقالات الفرق والأديان السالفة في سياقٍ تاريخيٍّ اعتباريٍّ، فقد أخبر الله عز وجلّ عن مقالات اليهود فقال تعالى " وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا" ( سورة المائدة، 64 " وقالت اليهود عزير ابن الله" (سورة التوبة، 30)، كما أورد القرآن الكريم مقالات النصارى فقال تعالى: " وقالت النصارى المسيح ابن الله " (سورة التوية، 30)، كما أخبر الله تعالى عن منكري البعث والنشور فقال عز وجل " وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم " ( سورة ياسين، 78-79) وقال تعالى: " وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر" (سورة الجاثية: 24)، كما أورد القرآن الكريم أيضاً مقالات منكري وجود الله فقال تعالى " ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحي ويميت قال أنا أحي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأتي بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لايهدي القوم الظالمين " ( سورة البقرة، 258).

وفي صحيح الأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم نجد نماذج من الرصد التاريخي للرؤى الدينية والمذهبية السالفة، فعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول: "وإنَّ مَن كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد

فإني أنهاكم عن ذلك"[11]، كما نجد أحاديث نبوية تنبئ عن حالة التفرق وتحذر منه، فن عبد الله بن مسعود قال: " خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطاً، ثم قال: هذا سبيل الله، ثم خط خطوطا عن يمينه وخطوطا عن يساره ثم قال : هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها"ثم قرأ قوله تعالى : وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (الأنعام:153) "[12].

فالرصد التاريخي للتفرق الديني والمذهبي هو منهج رباني جاء في نصوص الوحيين الكتاب والسنة، ولا شكَّ أنَّ هذا الرصد الربَّاني لأخبار التشرذم المذهبي في الأمم السابقة يحمل مقاصد حضارية جليلة منها النظر والاعتبار، قال تعالى: " لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ " (سورة يوسف:111)، ومعنى الاعتبار هو العبور من الحدث وعدم الوقوف عنده طويلا إلى الوقوف على أسبابه وتجلياته، ثم تطبيق ذلك على ما نعايشه.

ومن القيم الحضارية التي يحملها هذا المنهج الرباني في سرد أخبار التفرُّق المذهبي في الأمم السابقة هو تعليم الناس قيمة الثبات على الحق عندما تموج الأفكار الهدامة والمعتقدات الباطلة قال تعالى: " وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ " (سورة هود:120).

ومن تلك القيم أيضاً علاج مرض التفرق والتشتت في حدِّ ذاته، لأنّ تجارب الإنسان تتكرّر ويتكرر معها التفرق والتشتت، وما من تجربة إلا ومنها فائدة التعلم، لكن

---

11 أخرجه مسلم في صحيحه، **كتاب المساجد**، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، بيروت، لبنان، 1399هـ/ 1979م، دار الفكر، ج: 02، ص: 67و68.

12 – ( حديث حسن )، الألباني محمد ناصر الدين، **تخريج أحاديث مشكاة المصابيح**، المكتب الإسلامي – بيروت

الطبعة: الثالثة، 1985 م، رقم الحديث : 166.

" ما أكثر الاتعاظ وما أقل المتعظين" ، يقول أبو حامد الغزالي في هذا الشأن : «فالإنسان هو الإنســان – من مائة قرن خَلَتْ إلى مائة قرن يلدها المســتقبل المنظور أو أكثر – لن تتغيَّر طبيعته، ولن يتبدَّل جوهره؛ لذلك فقد حفظ القرآن قصـــص الأوَّلين مع أنبيائهم، وجدَّد على الناس ذكرها بعدما طَوَتِ الليالي أصـحابَهَا، ليُدَاوِيَ بها عِلَلا متشـابهة، وقد كثرت القصــص لتحصــي جملة كبيرة من الأمراض الاجتماعيَّة، وتســتأصــل جرثومتها بصنوف العِبَر وشتَّى النُّذُر»[13].

ومن القيم العلمية الحضـــارية التي يقف عليها الدارس لتاريخ الحركات المذهبية التبصُّر بهذا الداء الحضاري الذي يأتي على المجتمعات فيمزقها وعلى الحضارات فيـهدُّها، فمعرفة الشر ليس شراً بالضرورة بل هو كما قال القائل:

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ..... ومن لم يعرف الخير من الشر يقع فيه

فالبحث في ظاهرة الافتراق والتشـــتت كأزمة حضـــارية هو تماماً كالبحث في الأوبئة والأمراض في المجال الطبي، أو البحث في ظواهر الزندقة والشـــعوبية في المجال الاجتماعي، أو البحث في الوساوس والاكتئاب في المجال النفسي، أو كالبحث في الرشوة والإسـراف في المجال المالي، وكالبحث في النفاق وسـوء الأخلاق في المجال الشـرعي، لأنَّ الأشياء بضدِّها تتضح، ولا يُمكن إبراز الصحيح إلا بمعرفة الخطأ، تماما كما لا يُعرف النور إلا بحلكة الظلام.

ونُـدرك قيمة هذا المعطى العلمي الحضاري في كلام الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه (الملقب بخبير الفتن) إذ قال: "كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني " [14].

---

13 – الغزالي محمد، **نظرات في القرآن الكريم**، الطبعة الأولي، دار نهضة مصر، ص: 95.

14 – ( حديث متفق عليه )، الألباني، مشكاة المصابيح، مصدر سابق، رقم الحديث : 5382.

فمعرفة الشـر هو بابٌ من الخير وطريق إليه، والوقاية خير من العلاج، فأفضـل سلاح نواجه به التشرذم هو العلم والبصيرة، وأما الهروب إلى الأمام وسياسة العين المغمضة وغض الطرف على المساوئ والزلات والإغراق في التفاؤل والأمنيات هو الهلاك بعينه.

ومن الأهداف الحضارية للدراسة التاريخية لما فـرّق الأمة وشـتّتها طوائفَ وفرق هو السـعي إلى توحيد الأمة ولمّ شـتاتها، وقد يتراءى للقارئ أنَّ هذا الكلام يحمل من المتناقضـات ما يجعله غير سـليم، فنقول أنَّ تبصـير الأمة بمكامن التفرقة يُسـهل عليها تجاوزها، لأن إحصـاء ورصـد مواطن الخلاف ومواطن الاتفاق يجعل الرؤية أكثر وضـحا، فتجتمع الأمة فيما اتفقت عليه، ويعذر بعضها بعضا فيما يسعها واختلفت فيه، فالوحدة تحصيل حاصل بعد التبـصُّر بمواطن الاتفاق ومكامن الخلاف لتجاوزها، وهذا هو جوهر علم تاريخ الحركات المذهبية، فوحدة الأمة لا تعني القضـاء على الخلاف وإنما وحدتها في انتسابها لهذا الدين للتعايش والتقارب وليس للخروج بمغلوب وغالب.

ومن التجليات العلمية والحضـارية لدراسـة الحركات المذهبية الإحاطة بتاريخ الأفكار، فما من فكرة إلا ولها جذور ومآلات، لأنَّ الأفكار تتطور ولا تموت بل تتغير مُسمياتها وأساليبها وأولوياتها فقط، ثم تتطور وتكتسي أسماء وألقابا وشعارات، فقد أخرج الجهمية التعطيل في قالب التنزيه، وأخرج المنافقون النفاق في قالب الإحسـان والتوفيق، وأخرج الظلمة الفجرة الظلم والعدوان في قالب السـياسـة وعقوبة الجناة، وأخرج الروافض الإلحاد والكفر والقدح في الصـحابة في قالب محبة أهل البيت والتعصـب لهم وموالاتهم، وأخرج فسـقة المنتسـبين إلى التصـوف بدعهم وشـطحهم في قالب الفقر والزهد ومحبة الله تعالى، وأخرجت الخوارج التكفير والقتل في قالب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.....، فكل صاحب باطل لا يتمكن من ترويج باطله إلا بإخراجه في قالب حق...[15].

15 – ابن قيم الجوزية، **إغاثة اللهفان في مصـايد الشـيطان**، حققه: محمد عزير شمس، خرج أحاديثه: مصطفى بن سعيد إيتيم، – مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، دار عالم الفوائد ، 1432 هـ / 2011م، ج: 01، ص: 82.

إنَّ البحث في تاريخ الفرق من حيث نشـــأتها وأفكارها وأهدافها وتحركاتها يكشف لنا الأفكار الدسيسة، ويُعين على كشفها والتصدي لها، فالفكر الداعشي مثلاً فكر دخيل مندسّ منسوب ومحسوب علينا وعلى ديننا بغير حق، يستقي أفكاره من نفس المعين الذي ارتوى منه الخوارج المارقون في التاريخ فاستباحوا دماء المسلمين بغير حق.

فإننا إذا نظرنا إلى فرقة من تلك الفرق الماضية نجد أن لها امتداداً يسري في الأمة سريان الوباء[16]، فظهرت فرق تتسمى بالجهادية تـُـكفر المسلمين يقاتلون أهل الإسلام ويتركون أهل الأوثان تقتل المسلمين على منهج الخوارج ولا تتسمى بهذا الإسم، وظهرت فرقة تـُــقدِّمُ العقل على نصوص الوحي الإلاهي وتجعله حاكمًا على النصوص وفق نهج المعتزلة ولا تتسمى بهذا الإسم، وقس على ذلك تجد نماذج كثيرة وأمثلة عديدة.

هذا الاهتمام بالتطور الفكري للفرق والمذاهب والآراء يُكسبنا أسلوب حضاري في مجابهة الأفكار المنحرفة والمتطرفة، وهو أســلوب مجابهة الفكرة بفكرة مثلها، فقد أثبتت استراتيجية الدفاع المعاصرة أن الفكرة لا يُمكن القضاء عليها بسياسة بوليسية قمعية، وإنما الطريقة الحضارية تفرض علينا تطويق الفكرة، ومحاربتها بفكرة أقوى منها، لأنّ الأفكار لا تموت بالرصاص، ولا تحبسها جدران السجون.

إنّ الدراسة التاريخية للحركات المذهبية تـُعلمنا قاعدة حضارية وسنة كونية هي ســنة المغالبة أو حتمية المدافعة أو قانون التدافع الحضـــاري، هذا القانون يعني التزاحُم وحتمية الاختلاف والمواجهة، وله صــوره ودرجاته المتعددة بداية من الحوار ومرورا بالجدل والمناظرة والمنافســة والســباق والمواجهة والمغالبة وقد ينتهي بالصــراع أو القتال، فالتدافع الحضـــاري لا يحمل فقط معنى التناحُر والتكالُب والإفْناء، إنما يحمل دلالةً مُؤدَّاها الردُّ

---

16 – غالب بن علي عواجي، **فرق معاصرة تنتسبُ إلى الإسلام**، ، جدة، السعودية، الطبعة: الرابعة، المكتبة العصرية الذهبية، 1422 هـ – 2001 م، ص:36.

بالحجَّة، في الوقت الذي لا يحتمل فيه الصــراع إلا معني واحدا وهو القضــاء على الآخر وإفنائه[17].

فالتتبُّـــــع التاريخي للصراع المذهبي هو ضربٌ من ضروب هذا القانون الرباني والحتمية الحضــارية، فاختلاف الآراء والمقاصــد والغايات وتعدد وجهات النظر وتصــارع الأفكار أمر مشـهود في جميع الأمم والمجتمعات عبر التاريخ، وقد أشـار الله تعالى إلى هذا التدافع باعتباره سنة من سننه سبحانه في الاجتماع البشري في قوله تعالى " وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ " (سورة هود:118).

بـل قـد يحـدث أن تـدافع أهـل الحق مع أهـل الحق في مجـال الفروع أو أمور محدثات الحياة ما لم يقع نص قطعي الصحة ووضوح الدلالة، فيكون الاختلاف فيه نسبة إلى الفهم أو عدم وصـول النص الصـحيح, فيتولد في الاختلاف تدافع للوصـول إلى أحق الحقين، وهذا التدافع أصل في حياة الناس فهو عامل لتحرك الحياة والتسابق لما هو أفضل وأكمل[18].

إنَّ الصـراع المذهبي حلقة ضـمن سلسـلة طويلة من الصـراعات الحتمية والمدافعة الكونية بين بني الإنســـان، والتاريخ البشــــري كله قصـــة طويلة تحكي ذلك التدافع بين المتضـادات، ولذا فإنَّ من الجهل الفاضـح، والحماقة المطبقة تغييب هذه المعاني ومحاولة محو

17 – عمارة دليلة، **التدافع القيمي بين الحضـارات و الأمم : أزمة النظام الدولي المعاصـر أم فرصـة التغيير السـانحة ؟**، دراسات إستراتيجية ، العدد 17، 2012 مركز البصيرة للبحوث و الإستشارات و الخدمات التعلمية، الجزائر، ، ص: 55.

18 – محـمـود يـوســـف ســـــلامـة، ســـــنـة الـتـدافـع، مـوقـع يـقـظـة فـكـر، https://feker.net/ar/2012/05/22/11336/.

ذاكرة الأمة التاريخية بحجج التعايش والسلام، وهو سراب وأحلام وأوهام يعيشها من لا يعرفون سنة التدافع[19].

ومن العطاء العلمي الحضاري للتتبُّع التاريخي للحركات المذهبية اكتساب شخصية المظاهِر والمناصِر لما هو حق، والرد على ما هو باطل، ليس تشهياً ولا تشفياً وإنما هو النصح وبُغية الخير للغير، وهو الجهاد الأكبر، وقد اعتبر الإمامُ ابنُ قيم الجوزية– رحمه اللهُ– الكتابة في ذلك أفضل وأشرف ما ينشغل به الباحث فيقول مُعدداً أنواع الأقلام ( أي أنواع الكتابات ) : " القلمُ الثَّاني عشر : القلمُ الجامعُ ، وهو قلمُ الرَّدِّ على المبطلينَ ، ورفعِ سُنَّةِ المحِقِّينَ ، وكشفِ أباطيلِ المبطلينَ –على اختلافِ أنواعِها وأجناسِها– ، وبيانِ تناقضِهم ، وتهافتِهم ، وخُروجِهم عنِ الحقِّ ، ودُخولهم في الباطلِ . وهَذَا القلمُ – في الأقلامِ– نظيرُ الملوكِ في الأنامِ ... وَأَصحابُ هذا القلمِ حَرْبٌ لكُلِّ مُبطلٍ ، وعَدُوٌّ لكُلِّ مُخالفٍ للرُّسلِ ؛ فَهم في شأنٍ وغيرهم منْ أصحابِ الأقلامِ في شأنٍ"[20].

وجاء القرآن الكريم – دستور هذه الأمة ومُلهم حضارتها – جاء يُعلم المسلمين فنّ الردّ على المخالف للحق، من ذلك قوله تعالى : " وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ " ( سورة البقرة : 111) ، وقال سبحانه : " أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ " [الأنبياء : 24]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألسنتكم"[21]، ويقول الشاعر العربي مُجلياً هذا المعنى بقوله :

ما قيمة الإنسان مُعتقدا      إن لم يقل للناس ما اعتقدا ؟

---

19 – إبراهيم محمد الحقيل، من سنن الله تعالى في خلقه (مدافعة بعضهم بعضا)، مجلة البيان الإلكترونية، 2011، http://albayan.co.uk/Article2.aspx?id=1607

20 – ابن قيم الجوزية، **التبيان في أقسام القرآن**، تحقيق: محمد حامد الفقي، ، بيروت، لبنان، دار المعرفة ، ص: 132.

21 – ( حديث صحيح )، الألباني، مشكاة المصابيح، مصدر سابق، رقم الحديث: 3821.

ماذا يُفيدُ الصَوتُ مُرتَفِعاً     إن لَمَ يَكُن لّصَوتِ ثَمَّ صَدى ؟

وَالنورُ مُنبَثِقا وَمُنتَشِراً     إن لَمَ يَكُن لِلناسِ هُدى ؟

فالتتبع التاريخي للحركات المذهبية يـُعلمنا الصدع بالحق ومهارة الدفاع عنه وفنُّ الرد على المخالف وهو فنٌّ غاية في الأهمية إذا كان المقصـــد منه علمي حضـــاري بدون التنقيبُ عَنِ الأخطاءِ، والتصيُّدُ للهفواتِ ، والفرحُ بالزّلاتِ ، والدُّخولُ في المقاصدِ والنِّيَّاتِ ، وتحميلُ الكلامِ أسوءَ الاحتمالاتِ مع التزامُ الرَّدِّ بالتي هِيَ أحسـنُ[22]، وهذا هو الأصـلُ كما قال تعالى : " ادْعُ إِلِى سَـــبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَـــنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ " ( سورة النحل : 125) .

يقولُ الحافظُ الذَّهبيُّ–رَحِمَهُ اللهُ– وهو صـاحب الباع الطويل في هذا العلم يقول ما نصُّـه :" الصَّـدعُ بِالْحَقِّ عَظِيْمٌ، يَحْتَاجُ إِلَى قُوَّةٍ وَإِخْلاَصٍ، فَالمخْلِصُ بِلاَ قُوَّةٍ يَعجِزُ عَنِ القِيَامِ بِهِ، وَالقَوِيُّ بِلاَ إِخلاَصٍ يُخْذَلُ، فَمَنْ قَامَ بِهِمَا كَامِلاً، فَهُوَ صِدِّيْقٌ " [23].

وهذا الفن شكـــّـــــــل حقلا علميا واسعاً في الحضارة الإسلامية، أُفردت له المصنفات بل المجلدات، نذكر منها حصراً لا قصراً مُصنَّـــفين للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ( تـ 241هـ ) هما كتاب: الرد على الزنادقة، وكتاب: فضائل الصحابة، وهما مُصنَّفين في الرد على الشيعة، وللإمام عبد الرحمن بن أبي حاتم ( تــ 327 هــ ) كتاب: الرد على الجهمية، وللإمام ابن قيم الجوزية (تـ 751هـ) عدة مؤلفات مشهورة منها كتاب: كشف الشبهات.

قيمة حضارية علمية أخرى لا يُـــمكن أن نغفلها في تتبع الحركات المذهبية تاريخياً، وهي التنبُّــه للعوامل التي تؤدي إلى انتشار الأفكار والمذاهب وعلاقة ذلك بالسلطة السياسية، فالتتبع التاريخي يُفضـي إلى تباين شـديد بين مذاهب انتشـرت دون أخرى، وفي مناطق معينة

22 – النميري بن محمد الصبار، الرد على المخالف بين الغلاة والجفاة، ttp://www.alukah.net/sharia/0/37854/، سنة : 2012م.

23 – الذهبي، السير، مصدر سابق، ج: 21، ص: 287.

دون أخرى، ومذاهب بقيت وازدهرت، وأخرى فنيت واندثرت، وبعض المذاهب اســـتطاعت الظفر بتأييد السلطة، ومذاهب أخرى لقيت من التنكيل ما لقيت، ولنا أن نتساءل أيضاً لماذا انتشر المذهب المالكي مثلاً في الغرب الإسلامي بينما انتشر مذهب الحنابلة في منطقة الحجاز في حين انتشر مذهب الشيعة في إقليم فارس، ولماذا حظي المذهب الأشعري بتأييد السلطة في المغرب الإسلامي، ولماذا أُضطهد التصوف في فترات تاريخية وحظي بالتأييد الرسمي في فترات أخرى، أسـئلة كثيرة وأخرى من هذا القبيل يســتحضــرها الباحث في هذا المجال، ولن تكون الإجابة عنها عشوائية بل خضعت لقواعد تاريخية وحضارية جعلتها تأخذ هذا المسار، فهي إذاً تجارب تاريخية تـُمدنا بخبرة واسعة في مجال العلاقة بين السلطة السياسية والسلطة الدينية.

وقد عُني عدد من العلماء والمؤرخين بتتبع هذه العلاقة لما تحمله من دلالات وإشارات في فهم حركة التاريخ، منهم أبو الأعلى الماوردي ( تـــ 450 هـــ ) الذي انتهى به البحث إلى الجز بأنه " ما من دين زال سلطانه إلاّ بُـدلت أحكامــه وطُـمست أعلامه وكان لكل زعيم فيه بدعة[24]، وهذا القول ينطبق مع تفسير أبي حامد الغزالي بعدهُ ( ت 505هـ ) للعلاقة بين السلطة السياسية والسلطة الدينية حيث قال " الملك والدين توأمان، فالدين أصل والسلطان حارس، ومالا أصل له فمهدوم، وما لا حارس له فضائع [25].

ومن الأهداف الحضــارية للدراســات التي تهتمّ بالتأريخ المذهبي هو عقد المقارنة بين ما كان وبين ما هو كائن، بين زمن الاجتماع في الصدر الأول من التاريخ الإسلامي زمن العزة والقوة والوحدة، وزمن التفرق بعده زمن التأخر والتشتت والفــُـرقة، والهدف من عقد مثل هذه المقارنة هو لفت الأنظار إلى حجم الخســائر الحضــارية للتفرق والتشــرذم، وارتفاع التكلفة الحضــارية نتيجة اســتنزاف الطاقات والمقدَّرات في معارك هامشــية، وتهدف المقارنة أيضــاً إلى التركيز على ذم التفرُّق وبيان مساوئه، وتوضيح محاسن الاجتماع والاتحاد وما يضمنه من فرص للإقلاع الحضاري، والتأكيد على أن التشتت والافتراق لم يخدم الأمة الإسلامية إنما خلق بين

24 – المـــاوردي، **أدب الدين والدنيا**، الطبعة 01، 1424 هـــ / 2000 م ، دار الفكر، ، ص : 115.

25 – الغزالي، **إحياء علوم الدين إحياء علوم الدين**، بيروت، دار المعارف، ج :1، ص : 17 .

أفرادها العداوات والخلافات التــي خدمت أكثر أعــداء الإسلام، ولعلّ هذه المقارنة من شأنها أن تـُـنبّه الغافل وتدغدغ العواطف وتبعث الحنين لأيام المجد والوحدة، ما يجعل الأمة تتنازل عن خلافاتها وتسعى لإحياء معاني الاتحاد والقوة والترابط التي تجمعها.

ومن القيم العلمية والحضارية المـــــــستنبطة من الدراسة التاريخية للحركات المذهبية الإدراك والاقتناع بأنَّ الاختلاف المذهبي سنة ربَّانيّة وطبيعة بشريّة وحقيقة اجتماعية مما يفرض علينا العمل من أجل تهيئة مجتمع إســلامي يتعايش مع هذه الحتمية، فيتمســك بالمشــتركات ويتقبَّــل الخصوصيات، ويُسلمُ بالفروقات، ويرفض المغالاة، ويستنكر التعصب من أي طرف كان وتحت أي ذريعة، منعًا من تبديد طاقات المجتمع الكامنة وحرصًا على صيانة وحدة الأمة التي طالما مزقتْها المذهبيةُ المتزمتة، ففوتت عليها فرصة التقدم والتميُّــز، ولا يمنعنا الاختلاف أن نستحضر من أدب الخلاف ما نحن بأمس الحاجة إليه زمننا هذا، فقد أُثـر عن الإمام الشافعي قوله " ما جادلت أحداً إلا تمنّيت أن يُــظهِر الله الحق على لسانه دوني" وقال عنه أحد الأئمة المعاصرين له ''ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يوماً في مسألة ثم افترقنا ولقيته فأخذ بيدي ثم قال: يا أبا موسى ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة''.[26].

فدراســتنا للصـــراع المذهبي الطويل من شــأنه أن يرفع الوعي إلى مســتوى اعتبار الاختلاف أو التنوع قيمة حضارية وإنسانية ودليل سمو ورقي وليس طريق للاحتقان والاقتتال، فاختلاف العقول في الأفهام والآراء والحجج والبراهين والمسوغات وغيرها حسب وجهة نظر كل إنســان آيه من آيات الله تعالى تشـهد على عظمته عز وجل، قال تعالى " ولو شـاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم " ( ســـورة هود، 118 )، أما التمذهب الأعمى والتعصـــب البغيض في الدين، ليس إلا شـــذوذا وانحرافا في الموقف تجاه الدين نفســه، ونظرة ســلبية للمذاهب التي هي في الحقيقة طرق لفهم الدين وليس لهدمه وتشــويهه[27]، ويقول الخليفة الراشــد عمر بن عبد العزيز مُــــبيناً حقيقة الاختلاف بين

---

26 - الذهبي، السير، مصدر سابق، ج: 16، ص: 10.

27 - قيس المعـايطـة، **الإختلاف في الرأي ســـنة كونيـة**، موقع المنتـدى العـالمي للوســطيـة، http://www.wasatyea.net، سنة : 2014م.

الصحابة – رضي الله عنهم –: "ما يسرني أن أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لم يختلفوا، لأنهم لو لم يختلفوا لم يكن لنا رخصة"[28].

فالاختلاف المذهبي في الحضارة الإسلامية يُـنبئُ عن مدارس فكرية في طرق التفكير والاستدلال، لأنَّ التنوع المذهبي يستفـــزُّ العقول للبحث والتنقيب والإنتاج والتصنيف، فدفع بأتباع كل مذهب إلى الجد والاجتهاد لخدمة مذاهبهم، فأنشـئوا المؤسـســات العلمية الكثيرة، وأنتجوا ثروة علمية كبيرة في أصـــول الدين وفروعه، حتى أصـــبح لكل طائفة ثروة هائلة من المصنفات[29] .

من أبرز الأهداف الحضــارية والعلمية لدراســة تاريخ الحركات المذهبية اســتشــعار جهود الأولين في الذود عن حياض العقيدة الصحيحة، وتقدير جهادهم، ومن ثَـــمَّ استشعار المسـؤوليّة المنوطة بنا لتحمُّل الأمانة واسـتكمال الرسـالة، فإنَّ السـنة النبوية المشـرفة ومنذ فجر الإسـلام تعرضــت لتحديات عديدة، تشـكيكاً وقدحاً وتأويلاً، فانبرى للرد على عليهم رجال منفقين أعمارهم ومضنين جهودهم، وإنَّ التتبُّـع التاريخي لنضال أولئك الرجال في حلبة الصراع المذهبي يُـحتـِّـــمُ علينا الوفاء لهؤلاء الرجال والأئمة العظام ويدفعنا لأداء الواجب واستكمال المسير.

من أبرز الأهداف العلمية والحضــــارية لدراســـة تاريخ الفرق المذهبية مجابهة المستشرقين الذين يجدون في الخلافات والنزاعات المذهبية في حضـارتنا مادة دسمة لافتعال الأكاذيب، وتلفيق التهم، وتشويه الحضارة الإسـلامية، فقد بالغ المستشرقون في الاهتمام بالفرق كالشـيعة والإسماعيلية والزنج وغيرهم من الفرق التي ظهرت في التاريخ الإســلامي وأعطوها من المكانة والاهتمام أكثر مما يســـتحق، بل إن هناك من أطلق عليهم لقب المعارضـــة لإعطاء ما قاموا به من عداوة لله ولرســوله شـــرعية، وهذا من صـــور تحامل

---

28 – ابن عبد البر، **جامع بيان العلم**، تحقيق: مسـعد عبد الحميد محمد السـعدني، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية ج: 01، ص: 80 . .

29 – عمر سـليمان الأشـقر، **تاريخ الفقه الإســلامي** ، الجزائر ، 1990 م، قصــر الكتاب ، ص: 146، 147 .

المستشرقين على الحضارة الإسلامية ومنهجهم القائم على تقزيم الإنجازات الحضارية والعلميّة للمسلمين وتغليب الصبغة العدائية والفوضوية، مُسوِّقين تاريخ إسلامي مبدأه ومُنتهاه مؤامرات مُدبّرة ومعارك طاحنة وحروب همجية، متجاهلين أنَّ الحضارة الإسلامية عمَّت بمُنجزاتها الإبداعيَّة أرجاء الأرض، عاشت الإنسانية على حصادها العلمي والثقافي والفكري قرونا من الزمن، نذكر منهم المستشرق اليهودي الديانة الأمريكي الجنسية برنارد الذي كتب رسالته للدكتوراه حول طائفة "الحشاشين"، وهي طائفة منشقة عن الإسماعيلية الشيعية، وكان يرى في تمزيق المنطقتين العربية والإسلامية طائفيا وعرقيا استجابة طبيعية لدواعي التاريخ والجغرافيا والثقافة والتراث، وكان يرى في هذا التفكيك خدمة كبرى للمشروع الصهيوني وضمانة أساسية لبقاء "إسرائيل" القائمة على فكرة يهودية الدولة، في بيئات طائفية وعرقية مشابهة، وكان للويس تأثير كبير على مدرسة المحافظين الجدد وعلى جورج بوش الابن الذي غزا العراق وسعى لإعادة ترتيب أوضاعه على أسس طائفية وعرقية[30].

فالأولى بنا الإحاطة بتاريخ الحركات المذهبية حتى نفهم تاريخنا وخلافاتنا وأصدقاءنا وأعداءنا ونفوّت – بذلك – الفرصة على مكر المستشرقين وإحباط مخططهم الرامي إلى توظيف هذا الجانب الحساس من تاريخنا توظيفا إيديولوجيا عدائيا مغلوطاً.

بُعد خضاري وعلمي هام يتجلى من خلال دراستنا التاريخية للفرق المذهبية، وهو فهم حركة التاريخ في حد ذاته، فلا يُمكن فهم التاريخ عموماً والتاريخ الإسلامي خصوصاً دون فهم الجانب المذهبي الذي شكل المحرك الرئيسي للأفراد والشعوب والدول، لا سيما إذا أدركنا أنَّ الحضارة الإسلامية حضارة دينية بامتياز .

فالإنسان كائن متدين بطبعه، وتأثير التدين والتمذهب في حركة الأفراد والشعوب له ما يشهد عليه في أحداث الماضي وما يحدث في الحاضر و بما سيحدث في

30 – (محسن محمد صالح، الصراعات الطائفية والمذهبية ... رؤية تاريخية – مقالات موقع الجزيرة نت: http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2014/4/5 ) 2018/04/05.

المستقبل، وكان – ولا يزال – الجانب الديني أكبر ظاهرة يعالجها التاريخ ويجد المؤرخ نفسه يراجعها ليفهم مجرى الأحداث وخلفياتها، ونستحضر هنا ما قاله المؤرخ الإغريقي بلوتارك: "لقد وُجدت في التاريخ مدن بلا حصون، ومدن بلا قصور.. ومدن بلا مدارس.. ولكن لم توجد أبدا مدن بلا معابد".

فالاطلاع على التاريخ المذهبي للأفراد و الأمم يُساعدنا – بلا شك – على فهم المواقف وتفسير الأحداث، لأنــَّــه يُجيبنا على الكثير من الإشكاليات التاريخية، لا سيما وأن جُل الدول التي قامت في التاريخ الإسلامي قامت على أساس ديني مذهبي.

من أهم القيم العلمية والحضارية التي تدفعنا – أيضاً – للاهتمام بتاريخ الحركات المذهبية هو إنشاد الوسطيَّــة الحضارية التي امتنَّ الله تعالى بها على هذه الأمة " وكذلك جعلناكم أمة وسطا " (سورة البقرة، 143)، وللوسطية إطلاقين إطلاق مادِّيّ حسيّ ا، وهو كون الشيء في وسط له طرفان، كوسط الدار مثلاً، أمَّا الإطلاق الثاني فهو الإطلاق المعنوي، وهو كون الشيء أفضل شيء، وأَخْيَره، وأعدله، وأجوده، وهذا يقع غالبًا بين ضدين مذمومين، متميزًا عنهما بأفضليته وجودته، وقد يكون له ضد واحد، كالعدل مع الظلم"[31]، والمعنى الاصطلاحي للوسطيّة يدور حول الاعتدال، وتجنُّب الغلو والتقصير؛ قال ابن قيم الجوزية: "ما أمر الله – عزَّ وجل – بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إمَّا تقصير وتفريط، وإما إفراط وغلو، فلا يبالي بما ظفر من العبد من الخطيئتين"[32].

فإنشاد الوسطية بين الإفراط والتفريط يتطلب منا البحث في مسار الفرق المذهبية من حيث الجذور والتطور والمعالم والأعلام، ومن ذلك تتضح معالم طريق الوسطية المنشودة، ونستحضر – مرة أخرى – كلاماً نفيساً لابن قيم الجوزية حول الوسطية

---

31 – الحسين أيت سعيد، في كتابه "المرقون حول الوسطية، ص: 29 .دراسة غير مطبوعة نقلاً عن : محمد ويلالي، الوسطية مفهوما ودلالة، http://www.alukah.net/culture/0/4341/ ( سنة : 2008م ).

32 – ابن قيم الجوزية، **الوابل الصيب من الكلم الطيب**، تحقيق : محمد عبد الرحمن عوض، بيروت، الطبعة الأولى ، دار الكتاب العربي ، 1405 – 1985م، ص: 15 .

المنشودة فيقول: " العالمون بالله وكتابه ودينه عرفوا سبيل المؤمنين معرفة تفصيلية، وسبيل المجرمين معرفة تفصيلية، فاستبانت لهم السبيلان، ... فإنَّ الضدَّ يُـظهر حُـسنه الضدُّ، وإنما تتبيّنُ الأشياءُ بأضدادها ... "[33].

**خاتمة :**

إنَّ الخوض في هذه المباحث التاريخية المذهبية هو إســهامٌ في بناء مجتمع يأمن على نفســه وعلى غيره سموم الغلوّ والتطرف، وينعمُ بتعايش وتقارب بين المغلوب والغالب.

فدراسة التاريخ المذهبي ليس إثارة للمذهبية وإحياءً لنعراتها كما توهمه البعض، وإنما البحث في هذا الموضوع هو نوع من الوقاية والعلاج، وإسهامٌ في تكوين مجتمع فاضل خالٍ من الغل والضغينة.

وإنَّ الرقيّ بالمجتمع إلى هذا المستوى واجبٌ جماعي مسؤول، وعمل مؤسساتي رصين، تتصدّر له مراكز بحث علميّة وأساتذة أكفاء، كلّ هذا ضمن نسيج اجتماعي فكري منسجم، يُـغلّـبْ الولاء الأكبر للدين على الولاءات المذهبيّة الضيّقة، وبذلك يأخذ الاختلاف مساره الإيجابي فيتحوّل من معول هدم وفُرقةٍ إلى تنوُّع سِعةٍ ورحمة.

33 – ابن قيم الجوزية، **الفوائد**، جدة، السعودية، مجمع الفقه الإسلامي، 1429هـ / 2008م ، ص: 102.

**اللبيليوغرافيا:**


1. ابن عبد البر يوسف بن عبد الله، جامع بيان العلم، تحقيق: مسعد عبد الحميد محمد السعدني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
2. ابن عساكر، تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، الطبعة 03، بيروت، دار الكتاب العربي، 1404 هـ / 1984 م.
3. ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، حققه: محمد عزير شمس، خرج أحايثه: مصطفى بن سعيد إيتيم، دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، 1432 هـ / 2011م.
4. ابن قيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
5. ابن قيم الجوزية، الفوائد، مجمع الفقه الإسلامي بجدة، السعودية، 1429هـ/ 2008م.
6. ابن قيم الجوزية، الوابل الصيب من الكلم الطيب، تحقيق : محمد عبد الرحمن عوض، : دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى ، ذ1405 - 1985م.
7. الأشقر عمر سليمان، تاريخ الفقه الإسلامي ، الجزائر ، قصر الكتاب ، 1990 م.
8. الألباني محمد ناصر الدين، تخريج أحاديث مشكاة المصابيح، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثالثة، 1985 م.
9. البغدادي محمد بن إسماعيل، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان. الزركلي خير الدين،الأعلام، الطبعة 15، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2002م.
10. التميمي محمد خليفة، مقدمات في علم مقالات الفرق، غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى، 1423 - 2002م.

11. حاجي خليفة، كشـــف الظنون عن أســـامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى – بغداد، 1941م.
12. الحقيل إبراهيم محمد، من سنن الله تعالى في خلقه (مدافعة بعضهم بعضا)، مجلة البيان الإلكترونية، 2011، http://albayan.co.uk/Article2.aspx?id=1607
13. الذهبي شمس الدين،سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الطبعة 03، الرسالة، 1405 هـ / 1985 م.
14. سلامة محمود يوسف، سنة التدافع، موقع يقظة فكر، https://feker.net/ar/2012/05/22/11336/.
15. عمارة دليلة، التدافع القيمي بين الحضارات و الأمم : أزمة النظام الدولي المعاصر أم فرصة التغيير السانحة ؟، دراسات إستراتيجية ، العدد 17، مركز البصيرة للبحوث و الإستشارات و الخدمات التعلمية، الجزائر، 2012م.
16. غالب بن علي عواجي، فرق معاصرة تنتسبُ إلى الإسلام، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، السعودية، الطبعة: الرابعة، 1422 هـ - 2001 م.
17. الغزالي أبو حامد، إحياء علوم الدين إحياء علوم الدين، بيروت، دار المعارف.
18. الغزالي محمد، نظرات في القرآن الكريم، دار نهضة مصر، الطبعة : الأولي.
19. قيس المعايطة، الإختلاف في الرأي سنة كونية، موقع المنتدى العالمي للوسطية، http://www.wasatyea.net، سنة : 2014م.
20. الماوردي أبو الحسن علي، أدب الدين والدنيا، الطبعة 01، دار الفكر، 1424 هـ / 2000 م.
21. محسن محمد صالح، الصراعات الطائفية والمذهبية ... رؤية تاريخية – مقالات موقع الجزيرة نت: http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2014/4/5 ، 2018/04/05.

22. مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1399هـ/ 1979م.

23. النميري بن محمد الصبار، الرد على المخالف بين الغلاة والجفاة، http://www.alukah.net/sharia/0/37854/، سنة : 2012م.

24. ويلالي محمد، الوسطية مفهوما ودلالة، http://www.alukah.net/culture/0/4341/ ( سنة : 2008م ).